المبحث الثالث
العلاقات المصرية – السوفيتية أيلول ١٩٧٠– شباط ١٩٧١

– وفاة جمال عبد الناصر وأثرها في العلاقات المصرية – السوفيتية :

كان عبد الناصر مصاباً بداء السكر، الذي بدأت أعراضه تظهر عليه، ظهوراً مؤثراً منذ عام ١٩٦٢، وبعد الهزيمة العسكرية في حزيران ١٩٦٧، كان عبد الناصر يبذل جهداً كبيراً ما بين القوات المسلحة المصرية، والتنظيم السياسي، ومجلس الوزراء، واللقاءات الجماهيرية، وكان لذلك الجهد آثاره السلبية في صحة الرئيس المصري، الذي بدأ منذ عام ١٩٦٨ يشكو من الآم في ساقه اليمنى، نتيجة لضعف الدورة الدموية فيها، وهي إحدى المضاعفات المعروفة لداء السكر، وحينها وضع عبد الناصر تحت إشراف طبي دقيق(١). وكان الأطباء السوفيت قد أشاروا عليه بالاستشفاء في مصحات (تسخالطوبو) المشهورة بمياهها المعدنية(٢).

ويقول الدكتور منصور فايز – احد أعضاء الفريق الطبي المشرف على علاج عبد الناصر- في مذكراته ((على الرغم من عدم اقتناعي بفائدة العلاج هناك، فقد وجدت في ذلك فرصة لإبعاد عبد الناصر عن الانفعالات والمشاكل المحيطة به)).(٣)

وفي ١٠ أيلول ١٩٦٩، أصيب عبد الناصر بأزمة قلبية حادة، بعد تأثره بحادث الغارة (الإسرائيلية) على منطقة الزعفرانية، وقتلها عدداً من المدنيين، وقد أخذت تلك الغارة، التي رافقتها عملية إنزال (إسرائيلي)، حيزاً كبيراً في الأعلام (الإسرائيلي) والدولي، الذي بالغ في وصفها بأنها بداية لعملية احتلال (إسرائيلي) لـ ج. ع. م(٤).

وخلال عام ١٩٧٠، كانت الكثير من التحاليل الطبية التي أجريت لعبد الناصر تشير إلى ارتفاع نسبة (الكولسترول) في دمه، والى ضيق وتصلب في الشريان

---

(١) منصور فايز، رحلتي مع عبد الناصر، ط٢، دار الملتقى للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩١)، ص١٢٣.

(٢) يفغيني شازوف، الصحة والسلطة – مذكرات كبير أطباء الكريملين، ترجمة: إيمان يحيى، دار العرب للدراسات والنشر، (القاهرة، ١٩٩٤)، ص٥٥.

(٣) فايز، المصدر السابق، ص١٢٥.

(٤) فؤاد مطر، بصراحة عن عبد الناصر، حوار على مدى ٢٠ ساعة مع محمد حسنين هيكل، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٩)، ص١٨٢؛ عادل حمودة، عبد الناصر أسرار المرض والإغتيال، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص١٣٥.

التاجي مع وجود ارتفاع في ضغط الدم، ذلك فضلاً عن زيادة المجهود والقلق والتوتر الذي نتج عن حرب الاستنزاف، وما رافق ذلك من سفر ومؤتمرات[١].

ومع قبول ج. ع. م لمبادرة روجرز، تطور الموقف في الأردن تدريجياً[٢]، حتى وصل إلى حد الصدام المسلح بين السلطات الأردنية وفصائل المقاومة الفلسطينية ابتداءً من ١٧ أيلول ١٩٧٠ [٣]. وقد لعبت القاهرة دور الوسيط في حل تلك الأزمة، وعقد مؤتمر القاهرة خلال الفترة ٢٣-٢٧ أيلول ١٩٧٠، الذي وضع حداً لتلك الأزمة، من خلال توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين الطرفين في ٢٧ أيلول ١٩٧٠ [٤].

بذل عبد الناصر جهداً كبيراً خلال جلسات المؤتمر للتوفيق بين وجهات النظر، والأطراف المتنازعة، كما ان مراسيم استقبال وتوديع الملوك والرؤساء العرب، وإستعراض حرس الشرف، وأداء النشيد الوطني لكل بلد، كلها إجراءات يتم تنفيذها والرئيس يقف على قدميه، ونتيجة لذلك المجهود المرهق توفي عبد الناصر مساء يوم ٢٨ أيلول ١٩٧٠، اثر أزمة قلبية شديدة ألمت به، نتيجة انسداد الشريان التاجي للقلب[٥].

---

(١) الصاوي حبيب، مذكرات طبيب عبد الناصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ص١١٠.

(٢) للتفاصيل ينظر: على محفوظ عزيز الخفاف، موقف مصر من القضية الفلسطينية ١٩٦٧-١٩٧٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص-ص١٢٥-١٢٨.

(٣) د. ع. و،ملف العالم العربي، مصر – العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية، من تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى وفاة عبد الناصر، م-١/١٣٠١

(٤) مالكوم كير، عبد الناصر والحرب العربية الباردة ١٩٥٨-١٩٧٠، ترجمة: عبد الرؤوف احمد عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (لقاهرة، ١٩٩٧)، ص٢٧٥، ويظهر ان الاتحاد السوفيتي لم يكن مستعداً لأي تدخل في النزاع بل كان يدعو العرب إلى ضبط النفس وبذل كل ما يلزم من جهد بهدف الإيقاف العاجل لذلك الاقتتال. ينظر: "بيان وزارة الخارجية للاتحاد السوفيتي في ١٤ أيلول ١٩٧٠"، ضمن كتاب الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، مشاكل السلام والأمن، وثائق ومواد، المصدر السابق، ص-ص٢٤٩-٢٥٠.

(٥) سامي شرف، سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر، ط١، ج٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ٢٠٠٦)، ص٦٧٤.

وفي ٢٩ أيلول ١٩٧٠، بعث قادة الاتحاد السوفيتي برقية تعزية لـ ج. ع م،أعربوا فيها عن أساهم، وأكدوا على التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي ارتبطت بشخص عبد الناصر، وموقفه من المشاريع الغربية، كما تضمنت البرقية تأكيداً على نهج الاتحاد السوفيتي في تطوير العلاقات الشاملة مع ج. ع. م[١].

وفي ٣٠ أيلول ١٩٧٠، بادر الاتحاد السوفيتي بإرسال وفد على مستوى رفيع إلى القاهرة، للمشاركة في تشييع جنازة عبد الناصر والاطمئنان على الأوضاع العامة هناك. وقد ترأس الوفد السوفيتي، اليكسي كوسيجين (رئيس الوزراء السوفيتي)، يرافقه المارشال م. ف. زخاروف، (رئيس أركان الجيش السوفيتي)، والجنرال ف. ف. اكنوف (المستشار العسكري)، وف. ف. بوليا كوف، (القائم بأعمال السفارة السوفيتية في ج. ع. م)، وفلاديمير فينوغرادوف، (نائب وزير الخارجية السوفيتية)[٢].

وبدا الأمر وكأن الوفد السوفيتي كان وفد عمل أكثر منه وفد تعزية، وإن الطابع الغالب عليه هو طابع عسكري، وقد يعني ذلك ان السوفيت أرادوا منذ البداية ان يطمئنوا إلى مستقبل وجودهم العسكري في ج. ع. م، بعد وفاة عبد الناصر[٣] وخلال وجود الوفد السوفيتي في القاهرة،أجرى أعضاؤه محادثات مكثفة مع المسؤولين المصريين، والقادة العرب الموجودين في القاهرة، وخلال تلك اللقاءات ركز كوسيجين على ما يجمع بين موسكو والقاهرة، وعلى الالتزام السوفيتي بكل ما تم الاتفاق عليه، خلال الحقبة السابقة لوفاة عبد الناصر،الأمر الذي عكس رغبة سوفيتية واضحة في إبقاء ج. ع. م، ضمن دائرة المصالح السوفيتية، وكان هاجس رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي، هو إظهار ان الأمر لا يتعلق بسياسة مرتبطة

(١) مجلة الاخبار السوفيتية، تصدرها وكالة أنباء نوفوستي، (بغداد)، العدد (١٩)، ٥ تشرين الأول ١٩٧٠، ص٣.

(٢) في ذلك اليوم تمت موافقة الاتحاد السوفيتي على تعيين فلاديمير فينوغرادوف سفيراً للاتحاد السوفيتي في القاهرة، خلفاً لسيرجي أ. فينوغرادوف، الذي توفي اثر مرض عضال. فينوغرادوف، المصدر السابق، ص١٤.

(٣) فؤاد مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، دار النهار، (بيروت، ١٩٧٢)، ص٥٥.

بشخص عبد الناصر، بل بخيار سوفيتي أوسع، حول حصيلة اتفاق بين العرب على دور ج. ع. م في المنطقة[١].

دارت المباحثات المصرية – السوفيتية حول محورين رئيسين، تمثلا بمستقبل العلاقات الثنائية في مرحلة ما بعد عبد الناصر، والموقف العسكري على جبهة القناة بعد انتهاء ترتيبات وقف إطلاق النار في تشرين الثاني ١٩٧٠. وقد أبدى الجانب السوفيتي قلقاً بالغاً، خشية أن تنتهي مرحلة الصداقة المصرية – السوفيتية بغياب القيادة المصرية السابقة. وأكد السوفيت على ضرورة تبادل الثقة بين الجانبين، فقال كوسيجين في إحدى الاجتماعات ((... دعوني أخبركم كيف كنا نعالج الأمور، عندما كان عبد الناصر حياً،إذنا لم نخفِ سراً عنه، و هو لم يخفِ عنا أية أسرار، فمن الضروري أن يخبر أحدنا الآخر بكل شيء، ولا بد أن يفهم كل جانب ما يفكر الآخر فيه، إذنا لا نريد ان نتدخل في خططكم، لكن لا تنسوا ان قواتنا موجودة هنا في مصر، وبيننا وحدة دم، مثلما بيننا وحدة مصالح، و هذا غاية في الأهمية، و هو أمر لابد أن تأخذوه في إعتباركم على الدوام))[٢].

وبدأ واضحاً من خلال مباحثات الجانبين ان السوفيت كانوا يريدون تمديد فترة وقف إطلاق النار، على أساس ان إستعداد ج. ع. م، وقدرة جيشها على تحرير أراضيها سيتحقق، إذا استطاعت ان تكون في غير حاجة للمستشارين والخبراء السوفيت، وان الاتحاد السوفيتي، سيعمل على مساعدة ج. ع. م، لتحقيق ذلك الهدف بأسرع ما يمكن[٣].

وفي البيان المشترك الصادر عن تلك المباحثات، أكد الجانبان تصميمها على مواصلة الجهود لإيجاد تسوية (لأزمة الشرق الأوسط)، بما يضمن إزالة أثار العدوان (الإسرائيلي)، ويساعد على التوصل إلى سلام عادل ومستقر لكل دول المنطقة[٤]،كما

---

(١) دانكوس، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٢) هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص١٦٢.

(3) Jhon C. Compbell, "The Soviet Union and The Middile East", Russian Review, Vol, 29, No.3, (Jul, 1970), p.260;

هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص١٦٢.

(٤) مقلد، المصدر السابق، ص٣٢٥.

جاء في البيان، التأكيد على ان العلاقات الودية بين البلدين عامل مستقر وثابت لا يمكن المساس به[١].

ويرى احد الباحثين ان أهم سمة لوفاة عبد الناصر بالنسبة للسوفيت تتمثل في كونها أزاحت عن ج. ع. م، الرجل الوحيد الذي بلغت درجة إحساسه بالاهانة على يد (الإسرائيليين)، حداً جعله على إستعداد للمساومة على جانب كبير من سيادة بلاده [*]، في محاولة الإنتقام لتلك الاهانة، وبدا واضحاً ان السوفيت كانوا يخشون من ان يكون خليفة عبد الناصر، شخصاً أكثر استقلالاً، وقد يتجه نحو الولايات المتحدة طالباً المساعدة[٢]. وهذا ما حصل فعلاً – وكما سنرى- عند تولي أنور السادات السلطة في مصر خلفاً لعبد الناصر.

ويبدو ان الكثير من التقديرات والحسابات السوفيتية تجاه ج. ع. م قد تغيرت برحيل عبد الناصر، وربما يعود ذلك إلى كون العلاقات المصرية – السوفيتية، خلال الحقبة الناصرية، لم تكن قائمة بين شعبين، وانما بين نظامين حاكمين[٣].

ولم تكن هناك نقاط التقاء على المستوى الجماهيري، كانت للاتحاد السوفيتي قاعدة جماهيرية متواضعة في ج. ع. م، متمثلة باليسار المصري، وفي المقابل لم يكن في الاتحاد السوفيتي لـ ج. ع. م مثل تلك القاعدة، وباستمرار كانت هناك حالة انفصال بين الشعبين، فلم يكن النظام المصري يسمح لرعاياه بالسفر إلى الاتحاد السوفيتي، إلا لغرض العلاج والدراسة والتدريب، وكان المواطنون السوفيت بالمقابل يأتون إلى ج. ع. م، وهم إما خبراء أو مستشارون عسكريون أو فنيون، وكانوا مراقبين بشكل دائم من أجهزة الأمن المصرية، وذلك ما دفعهم إلى الإنعزال، والسكن في مناطق محددة[٤].

---

(1) Yodfat, Op. Cit., p.277.

(*) تلك وجهة نظر خاصة بفريدمان، ونحن لا نعتقد ان عبد الناصر كان لديه ذلك الإستعداد.

(٢) فريدمان، المصدر السابق، ص٧٤.

(٣) عبد الله الساعف، "مستقبل العلاقات السوفيتية – العربية " مجلة الوحدة، (المغرب)، العدد (٦٩)،السنة السادسة، حزيران ١٩٩٠، ص٦٢.

(٤) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص-ص٥٠-٥١.

وكانت الحكومة المصرية تلجا إلى التعاون مع السوفيت، لمناهضة الدول الغربية لا من أجل نقل التجربة الاشتراكية إلى ج. ع. م[١]. ومع بداية ذلك التعاون كان نوع تلك العلاقة اضطراري، ولم تكن علاقة اختيارية، إذ اعتبرنا ان المحور الأساسي في ذلك التقارب هو حاجة ج. ع. م، إلى الدعم العسكري والسياسي السوفيتي[٢].

وربما أراد عبد الناصر – في حديث له لصحيفة لوموند الفرنسية- التلميح على نحو مباشر إلى كونه يستورد أسلحة، وخبرات فنية وقروض مالية من الاتحاد السوفيتي، دون ان يستورد عقيدة وافكاراً، عندما قال ((ان العلاقات التي نقيمها مع الروس، هي علاقات فريدة من نوعها، انهم لا يحاولون حتى التأثير في أفكارنا، والآلاف من الخبراء والفنيين الذين أرسلوهم إلينا من اجل بناء السد العالي في أسوان، لم يحاولوا ابداً نشر الماركسية عندنا، مع انني لست معادياً لتلك الأيديولوجية))[٣].

وخلال فترة حكم عبد الناصر يمكن القول بأن العلاقات بين البلدين على الصعيدين الرسمي والحكومي، كانت قد وصلت إلى مستوى متميز بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة، لكنها على الصعيد الجماهيري، كانت تعاني نواقص كثيرة، فالتحذير من أخطار الشيوعية، كان بمثابة الرسالة أو الوصية الأخيرة التي يحملها من ج. ع. م، المبعوثون إلى الاتحاد السوفيتي. وفي القوات المسلحة المصرية، لم يفسر الفرق بين وجود ضباط أجانب فرضوا أنفسهم على الجيش المصري بقوة الاحتلال وبين ضباط أصدقاء طلبتهم ج. ع. م، بإرادتها لإرشاد وتدريب الجنود والضباط المصريين على الأسلحة والتكنولوجيا السوفيتية المتطورة[٤].

(١) لويس عوض، أقنعة الناصرية السبعة، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص٧٤.
(٢) هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ص٦٧٨؛ احمد بيضون وآخرون، ثورة ٢٣ يوليو – حصيلة ودروس، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص١٤٣.
(٣) نقلاً عن، كريم مروة، "الجذور التاريخية العميقة للعلاقات العربية – السوفيتية"، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت)، العدد (٤٣)، آذار، ١٩٧٥، ص٢١.
(٤) حمروش، غروب يوليو، ص٤٨.

وكان الاهتمام بالاتحاد السوفيتي في ج. ع. م مقصوراً على مركز واحد، يحتله رجل واحد أو مجموعة رجال في الحكومة السوفيتية، دون أن يفكر أحد في النفاذ إلى المؤسسات الأخرى مثل الحزب والأكاديميات والجامعات(١).

ولم تبذل الحكومة المصرية جهداً واضحاً – إلى الرغم من علاقاتها الجيدة مع المسؤولين السوفيت - في دعم العلاقات بين الشعبين، ربما حذراً من اندفاع الجماهير إلى خطوط لا يريد النظام المصري لها ان تتعداها(٢).

وبالطبع فان الغربة الثقافية، بما فيها حواجز اللغة، جعلت الحوار بين الجانبين يجري تبادلاً للشعارات، أكثر مما هو تبادل للأفكار، كما ان الاتحاد السوفيتي لم يستطع تفسير الحالة النفسية التي خرجت بها شعوب العالم الثالث، ودولهُ إلى مرحلة الاستقلال، ولم يدرك دور الدين فيها، ولم يتعمق في فهم حقيقة الاختراق الفكري الغربي لها(٣).

ولهذا استشعر السوفيت منذ اللحظة الأولى، لغياب عبد الناصر، نوعاً من القلق، عبّر عنه رئيس الوزراء السوفيتي أثناء لقائه بالمسؤولين المصريين الجدد، عندما أوضح لهم، ان تماسكهم وترابطهم، وتأكيد دور الاتحاد الاشتراكي العربي، هو الكفيل الوحيد بعدم حصول فراغ يتركه رحيل القيادة المصرية السابقة(٤).

وفي تلك الأثناء كانت مهمة الاتفاق على ما سوف تقرره ج. ع. م بشان وقف إطلاق النار – الساري المفعول لمدة ثلاثة أشهر لحين موعد انتهائها يوم ٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ - من المشاكل التي واجهت خلفاء عبد الناصر، الذين عقدوا اجتماعاً في ٣٠ أيلول، لمناقشة تلك المسألة، وعلى الرغم من تعارض الآراء، إلا ان الجميع اتفقوا على قبول قرار تمديد فترة وقف إطلاق النار ثلاثة شهور أخرى، وكان من بين الأمور التي دفعت المسؤولين المصريين لاتخاذ ذلك القرار، هو تسرب أنباء عن

(١) هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ص١٠٢.
(٢) حمروش، غروب يوليو، ص٤٨.
(٣) هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ص١٠٢.
(٤) حمروش، غروب يوليو، ص٤٨.

اتجاه الاتحاد السوفيتي إلى تأخير إرسال شحنات الأسلحة المنتظرة، لخشيتهم مما يمكن ان يحدث بعد غياب القيادة المصرية السابقة[١].

- العلاقات المصرية – السوفيتية غداة تولي أنور السادات السلطة :

كان تعيين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية من لدن عبد الناصر في٢٠ كانون الأول ١٩٦٩، قد اكسبه الشرعية الكاملة لتولي رئاسة الجمهورية[٢].

وفي ٥ تشرين الأول ١٩٧٠، وافقت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي والمؤلفة من ثمانية أعضاء، على ترشيح أنور السادات لرئاسة الجمهورية، وفي ١٦ تشرين الأول، تم الاستفتاء الشعبي العام، الذي حصل السادات فيه على ما يقرب من السبعة ملايين صوت، حيث نال في ذلك الاستفتاء ٩٠,٠٤% من أصوات الذين اشتركوا في الاقتراع على رئاسته[٣].

جاء إنتخاب أنور السادات رئيساً للجمهورية المصرية ليبرر المخاوف السوفيتية، إذ كان السادات أكثر حذراً من عبد الناصر في التعامل مع الاتحاد السوفيتي وكان يؤكد دائماً على تمسكه بالإسلام، ورغبته في المحافظة على الاستقلال المصري من أي نفوذ خارجي، ولاسيما النفوذ الشيوعي، لذا عدّ القادة السوفيت وصوله إلى السلطة، إيذانا بإعادة النظر في التوازنات[٤].

ومنذ البداية لعبت العوامل النفسية دورها في زيادة الشكوك وفقدان الثقة بين الطرفين، فلم يكن السادات يمتلك نفس الجاذبية السياسية التي كان يتحلى بها عبد الناصر، كما ان عداءه لـ (الشيوعية)[٥]، وحساسيته من المعاملة التي كان يعامل بها

(١) ربما كان القادة السوفيت يعتقدون بأن غياب عبد الناصر قد ترك فراغاً إدارياً على كافة المستويات، يجعل من الصعب على ج. ع. م، ان تخوض جولة جديدة من الصراع مع العدو (الإسرائيلي)، هيكل، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص١٧٠.

(٢) سلوى شعراوي جمعة، الدبلوماسية المصرية في عقد السبعينات. دراسة في موضوع الزعامة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٨)، ص٤٠.

(٣) ماسية الجمل، النخبة السياسية في مصر، (دراسة حالة للنخبة الوزارية)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٩٣)، ص٧٩؛ محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص٩٤.

(٤) دانكوس، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٥) في الوقت الذي كان للسادات موقفاً عدائياً من العقيدة (الشيوعية)، هناك من يرى ان للسادات ميولاً قوية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، وان تلك الميول تكونت لديه أثناء رحلة للولايات

من قبل الحكومة السوفيتية، مقارنة بمن كان يعتقد انهم اقل منه شأناً، تركت أثرها في ذلك الافتراق.

وخلال الفترة ٢٠-٢٥ كانون الأول ١٩٧٠، سافر وفد مصري إلى موسكو برئاسة علي صبري(*)، (نائب رئيس الجمهورية) لمناقشة بعض المسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية وقد كان إحتفاء الحكومة السوفيتية بعلي صبري إستثنائياً، إذ أصر قادة الاتحاد السوفيتي جميعاً على حضور جلسات المباحثات كما ان الجنرال غريشكو، ألغى التزاماته كافة بهدف المشاركة في المحادثات، ومن الطبيعي إن مثل ذلك الاحتفاء، قد احدث ردة فعل معينة لدى السادات، الذي كانت تصله تقارير عن زيارة علي صبري، واهتمامات القادة السوفيت بها(١). وهناك من يرى انه كان لعلي صبري ميولاً يسارية، وكان في عهد عبد الناصر بمثابة حلقة الوصل بين القيادة المصرية والسفارة السوفيتية في القاهرة(٢). وربما لذلك احتفى به القادة السوفيت، وربما للمراهنة عليه في مواجهة السادات.

ومنذ البداية كانت فجوة الثقة كبيرة بين الزعماء السوفيت والقيادة المصرية الجديدة، وكان الجانبان يبحثان في الطريقة التي تعيد الثقة المتبادلة بينهما، وكانت

المتحدة قام بها عام ١٩٦٦، ويقال انه عاد مبهوراً ومعجباً بكل ما هو أمريكي. فؤاد زكريا، كم عمر الغضب-هيكل وأزمة العقل العربي، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، (الكويت، ١٩٨٣)، ص٩٩.

(*) سياسي وعسكري مصري ولد عام ١٩٢٠، تخرج في الكلية الحربية سنة ١٩٣٩ أصبح مديراً لمكتب جمال عبد الناصر بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، ثم أصبح وزيراً لشؤون الرئاسة سنة ١٩٦٠، ورئيس للوزراء ١٩٦٢-١٩٦٥، ونائباً لرئيس الجمهورية ١٩٦٥-١٩٦٧، عين في مطلع عام ١٩٧٠ مسؤولاً عن القوات الجوية، وأصبح منذ تشرين الأول ١٩٧٠، نائباً لرئيس الجمهورية، اتهم في أيار ١٩٧١ بتدبير انقلاب ضد النظام المصري، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة للتفاصيل ينظر: عبد الله إمام، علي صبري يتذكر، مطابع روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص٣، وما بعدها.

(١) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص٧٦.

(2) Raymond A. Hinnebusch, Egyptian Politics under Sadat, The post – populist development of an authoritarian – modernizing state, by the Combridge university press, (London, 1985), p.48;

عبد اللطيف بغدادي، مذكرات عبد اللطيف بغدادي، ج١، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص٢٠٧؛ المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩٩؛ سهام ذهني، من أيام عبد الناصر والسادات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص-ص١٩٠-١٩١.

مناسبة الاحتفال بإتمام العمل في مشروع السد العالي، فرصة للعمل بذلك الاتجاه، ووجهت دعوة رسمية للاتحاد السوفيتي للمشاركة في تلك المناسبة، وبناءً على تلك الدعوة، قام نيكولاي بودغورني، بزيارة رسمية لـ ج. ع. م، خلال الفترة ١٣-١٩ كانون الثاني ١٩٧١، ووصل القاهرة في ١٣ كانون الثاني. وقد عرض أثناء المحادثات بين الجانبين موضوع الاتصالات الدولية، وتبادل الوفود الحزبية بين البلدين على كافة المستويات، توطيداً لأواصر الصداقة بين الشعبين[١].

وأكد الجانب السوفيتي مجدداً على استمرار تأييده للجانب المصري في النضال العادل ضد (إسرائيل)، كذلك اتفقت أراء الجانبين حول جميع المسائل الأخرى المتعلقة بالوضع الدولي آنذاك[٢].

وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٧١، تم الاحتفال بانتهاء المرحلة الثانية من العمل في مشروع السد العالي، وفي نفس اليوم وصلت إلى ميناء الإسكندرية المدمرة السوفيتية (لينينغراد)، وكان واضحاً ان القصد من زيارتها، هو إحاطة زيارة بودغورني بمظهر القوة، وقد وضعت الترتيبات اللازمة لكي تتم زيارة السادات وبودغورني للمدمرة السوفيتية في ١٧ كانون الثاني ١٩٧١، إلا ان السادات لم يقم بزيارة المدمرة، واكتفى هو و بودغورني بمشاهدتها، و هم يقفان على رصيف الميناء، وكان السبب في عدم صعود السادات على ظهر المدمرة، هو اعتباره ان ذلك يعد مظهراً من مظاهر نقص السيادة، وكان ذلك الإجراء حكيماً، وفي الوقت نفسه أرضى مشاعر قطاعات عريضة من المصريين، كانت سترى في الزيارة لهذه المدمرة لو تمت، ان الرئيس المصري يبارك بنفسه مظهراً من مظاهر انتقاص السيادة المصرية[٣].

و في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧١، ألقى السادات خطاباً في مأدبة أقامها تكريماً لبودغورني، وعلى الرغم من تأكيده على الاعتزاز بالصداقة المصرية السوفيتية، إلا

(١) "بيان مصري – سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة الرئيس نيكولاي بودغورني، رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفيتي، للجمهورية العربية المتحدة". الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، جمع واختيار، جورج خوري نصر الله، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٤)، ص٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٣) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص-ص٧٨-٧٩.

ان السادات أكد في خطابه على دور الارادة الوطنية في تحقيق ما تم تحقيقه من منجزات مؤكداً على ضرورة تحرير تلك الارادة[١].

وهناك من يشير إلى ان تأكيد الحكومة المصرية على مسالة تحرير الارادة الوطنية، وعدم الإشادة بدور السوفيت المميز في اغلب المنجزات الاقتصادية والعسكرية التي شهدتها ج. ع. م، في عهد عبد الناصر، جعل زيارة بودغورني تتميز بجو ودي ظاهري، إلا انها كانت تخفي مزيداً من الشكوك من جانب السوفيت[٢].

وقد ازدادت تلك الشكوك أكثر عندما أعلنت القيادة المصرية في ٤ شباط ١٩٧١، عن مبادرة سياسية جديدة، دون استشارة السوفيت أو الرجوع إليهم كما كان يفعل عبد الناصر من قبل.

(١) "خطاب الرئيس أنور السادات، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، في مأدبة أقامها تكريماً للرئيس بودغورني، رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص٣٩٥.

(٢) لم تتم الإشارة إلى المساعدة السوفيتية، حتى في اللوحة التذكارية، التي تم إزاحة الستار عنها، بمناسبة الاحتفال، بانجاز المرحلة الثانية من السد العالي، في ١٥ كانون الثاني ١٩٧١، مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص٧٩.

- مبادرة السادات وأثرها في العلاقات المصرية – السوفيتية :

في خطاب له أمام مجلس الأمة في ٤ شباط ١٩٧١، أعلن الرئيس المصري أنور السادات عن مبادرة جديدة، دعت إلى تجديد وقف إطلاق النار لمدة ثلاثين يوماً، وإعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية، مقابل انسحاب (إسرائيل) جزئياً من الضفة الشرقية لقناة السويس ضمن جدول زمني للانسحاب يتم وضعه لاحقاً[١].

والملاحظ على تلك المبادرة انها تهدف إلى تسوية جزئية تتمثل بانسحاب (إسرائيلي) جزئي من شرق القناة، مقابل حرية الملاحة (الإسرائيلية) فيها كما انها لا ترتبط بانسحاب (إسرائيلي) من جميع الأراضي العربية المحتلة، كما كان عليه موقف الحكومة المصرية أثناء حكم عبد الناصر[٢].

إن إعلان القيادة المصرية عن مبادرة ٤ شباط، دون تشاور مع القادة السوفيت، وبشكل يختلف عن أسلوب عبد الناصر، الذي ناقش معهم قبوله لمبادرة روجرز قبل إعلانه ذلك، جعل السوفيت يشعرون بأنهم قد بدأوا يتخذون موقف الدفاع في وقت كان الأمريكيون قد بدأوا فيه الهجوم[٣].

كما ان علي صبري وآخرون، ممن كان السوفيت ينظرون إليهم على انهم أصدقاء لهم وحلفاء داخل الحكومة المصرية، قد اعترضوا بشدة على إعلان السادات للمبادرة دون استشارتهم[٤].

ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقات المصرية – السوفيتية يشوبها الفتور، وتولد لدى الحكومة السوفيتية شعور بوجود تقارب مصري – أمريكي على حساب العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. وعلى أية حال فأن التغيير في الموقف السوفيتي، يرجع في الواقع إلى طبيعة المصالح المختلفة لكل من الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م،

---

(١) "خطاب الرئيس أنور السادات، رئيس الجمهورية العربية، المتحدة، أمام مجلس الأمة" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص١١٧.

(٢) عثمان العثمان، مأزق التسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص٤١.

(٣) حمروش، غروب يوليو، ص٥٠.

(٤) غالي شكري، الثورة المضادة في مصر، الهيئة العمة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨)، ص٥٣؛ كمال خالد المحامي، رجال عبد الناصر والسادات، ط٢، دار العدالة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص١٣٥.

وأولوية مصالح كل جانب على مصالح الجانب الآخر. فبينما كانت مصلحة ج. ع. م الآنية والمباشرة، هي التوصل إلى تسوية النزاع مع (إسرائيل) سواء عن طريق الدبلماسية أم عن طريق الحرب، فأن الاتحاد السوفيتي كان يرى إن مصلحته تقتضي تقارباً مع الولايات المتحدة، وإن الإنفراج بين الشرق والغرب بشكل عام والإنفراج بين واشنطن وموسكو بشكل خاص أصبحا يمثلان المحورين الأساسين لاهتمامات السياسية الخارجية السوفيتية(١).

كما لاحظ القادة السوفيت اتصالات السادات المتزايدة مع السعوديين، على الرغم من انه كان من الطبيعي أن يقوم بتلك الاتصالات، إذ انه كان في عهد عبد الناصر مسؤولاً عن شؤون شبه الجزيرة والخليج(٢). وأصبح كمال أدهم (مستشار الملك السعودي ورئيس جهاز المخابرات السعودي) زائراً دائم التردد على قصر الرئاسة المصرية، ولم يكن ذلك شيئاً مطمئناً للسوفيت، لاسيما إذا علمنا ان أدهم كان يمثل حلقة الوصل بين المملكة العربية السعودية والمخابرات المركزية الأمريكية(٣).

وقد كان السادات واعياً بشكوك السوفيت، وحريصاً على تهدئتها، وعندما لم يجد صدى ايجابي لمبادرته، أرسل شعراوي جمعة(*) (وزير الداخلية المصري)

(١) الخطيب، المصدر السابق، ص٢١٢.
(٢) هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص١٦٣؛
Mohrez Mohamoud El Hussini, Soviet – Egyptian Relations (1945-1985), (New York, 1987), p.194.
(٣) هيكل، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص١٧٥.
(*) سياسي وعسكري مصري، واحد أركان النظام الناصري ما بين ١٩٦٧-١٩٧١، ولد في القاهرة عام ١٩٢٠، وتخرج في الكلية الحربية في ١٩٤٢، وفي كلية أركان الحرب عام ١٩٥١، عُيّن محافظاً لمدينة السويس عام ١٩٦١، ووزيراً للداخلية المصرية عام ١٩٦٦، وأشرف على التنظيم السري للاتحاد الاشتراكي العربي، وفي عام ١٩٧٠ عُيّن نائباً لرئيس الوزراء لشؤون الخدمات مع احتفاظه بوزارة الداخلية، كان على رأس الاتجاه المعارض لأنور السادات في أيار ١٩٧١، وقد أطيح به مع غيره، وحكم عليه بالأشغال الشاقة والمؤبدة. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج٣، المصدر السابق، ص٤٨٢.

بزيارة سرية للاتحاد السوفيتي لكي يهدأ مخاوف السوفيت ويشرح لهم الاحتياجات العسكرية المصرية[١].

ويبدو إن المهمة الأساسية التي أرسل شعراوي جمعة إلى موسكو لأجلها، هي مطالبة السوفيت بالطائرات الصاروخية (تي يو ١٦) بعيدة المدى، وكان الاتفاق في السابق، قد تم بين عبد الناصر والقادة السوفيت على ان يكون لتلك الطائرات دور في تنفيذ الخطط الدفاعية المصرية، دون ان تتواجد في المطارات المصرية، حيث أكدت الحكومة السوفيتية،على ان وجود مثل ذلك اللواء الجوي الصاروخي في ج. ع. م، سيدفع بالولايات المتحدة إلى إمداد (إسرائيل) بصورايخ (لانسي أرض- جو) بعيدة المدى واقتنع عبد الناصر بذلك، واختير مطار وادي سيدنا في السودان، الذي كان بعيداً عن مدى طائرات الفانتوم (الإسرائيلية)، لاستقبال تلك الطائرات عند بدء العمليات[٢].

لكن الحكومة السوفيتية لم توافق على إرسال تلك الطائرات لـ ج. ع. م حتى لا يكون ذلك دافعاً للتعجيل في إستخدامها قبل الإستعداد للمعركة، أو مخافة ان يكون ذلك حجة في إمداد الولايات المتحدة لـ (إسرائيل) بصواريخ (لانسي) بعيدة المدى[٣].

(١) ربما جاء إختيار شعراوي جمعة لتلك المهمة، لكونه الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي آنذاك، وبتلك الصفة كان مسؤولاً عن (التنظيم الطليعي) الذي كان السوفيت ينظرون إليه بكثير من الأمل. هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص١٦٤.
(٢) فوزي، إستراتيجية المصالحة، ص-ص١٥٣-١٥٤.
(٣) حمروش، غروب يوليو، ص٥١.